

# الواجب

www.lyceee.com

## تقديم:

ينتزل مفهوم الواجب من الفلسفة الأخلاقية منزلة القطب من الرحي، فهو أحد المقولات الأساس التي انبنى عليها التفكير الفلسفي في الشق الأخلاقي إلى جانب أخرى من قبيل: السعادة و الحرية، و اللتان تتداخلان بدورهما مع الواجب، لتشكل في نهاية المطاف نسقا منتظما، تتداخل معاني كل مفهوم في الآخر، بل قد لا يستقيم مفهوم دون الآخر، و لا تكتمل الصورة الدلالية لواحد إلا بالرجوع إليهما معا.

غير أن الناظر المتمعن في مفهوم الواجب لواجد هو نفسه يتراوح ما بين عدة مقاربات و تصورات راجعة هي إلى اختلاف زوايا نظر كل فيلسوف، و محلل نفسي، و عالم اجتماع، و اختلاف زوايا النظر ينصرف هو الآخر غلأى مجمل المفاهيم التي تشكل حجر الزاوية لكل مجال على حدة، ثم عائد كذلك إلى اختلاف المقدمات المتأسس عليها منهج التحليل، ورغم ما يمكن أي يسجل حولها من اختلاف فهو لا يعني تعارض الأطروحات و إنما تحيك في ثوب واحد و هو مقارنة مفهوم الواجب الأخلاقي باعتباره مفهوما إنسانيا محضا، فتجد الفيلسوف ينظر فيه من جهة معناه التجريدي و التأسيسي، و عالم النفي من جهى تأثيره في الفرد و وجدانه، و عالم الاجتماع من جهة تأثير المجتمع في تمثّل الواجب و تطبيقه. و لما كانت الحال هي كذلك، وجب النظر و الوقوف للحديث عن الواجب الأخلاقي كمفهوم فلسفي محض.

## دلالات الواجب:

### • في الحس المشترك:

يتخذ الواجب الأخلاقي في المعنى البسيط والمتداول عند العامة من الناس بأنه: تلك القدرة على التحكم في التصرفات، و ذلك الأمر الداخلي الذي يتحكم في وجدان الأفراد و يحول دون إتيانهم تصرفات مشينة يمجها المجتمع ويقذح في مرتكبيها، و انتفاء الواجب الأخلاقي عن الفرد يجعل منه حديثا للانتقاص و الاستهزاء والقدح، إنه مرادف على السمات الحسن و الصيت الطيب عند الناس، و لما كان هذا المعنى هو الشائع عند الناس فإنهم يربطونه بطبيعة التربية التي يتلقها الفرد داخل الأسرة، و في الوقت الذي تكون فيه التربية الأسرية ناقصة تنعكس و ترد سلبا على الفرد. فهل يصدق هذا المعنى على المعاجم اللغوية؟

### • في اللسان العربي و اللسان الفرنسي:

يتخذ معنى الواجب في اللسان العربي عدة معان، نستقيها من المعاجم العربية، و من أهمها على الإطلاق معجم لسان العرب لابن منظور فيقول عن كلمة واجب: وَجِبَ الشَّيْءُ يَجِبُ وَجُوبًا أَي لَزِمَ. وَأَوْجِبُهُ هُوَ، وَأَوْجِبَهُ اللَّهُ، وَأَسْتَوْجِبُهُ أَي أَسْتَحِقُّهُ؛ يُقَالُ: وَجِبَ الشَّيْءُ يَجِبُ وَجُوبًا إِذَا تَبَيَّنَ، وَلَزِمَ. وَتَقَدَّرَ يُقَالُ: وَجِبَ الْبَيْعُ يَجِبُ وَجُوبًا، وَأَوْجِبُهُ إِجَابًا أَي لَزِمَ. إِذْنُ فَمَعْنَى الْوَجِبِ هُوَ: الْلِزُومُ وَ الثَّبَاتُ، أَي أَنَّهُ الْقُدْرَةُ عَلَى الْإِمْتِنَانِ الدَائِمِ لِلنَّاهِي وَ الْوِازِعِ الْأَخْلَاقِيِّ. إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ مَعْنَى الْوَجِبِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَمَا مَعْنَاهُ فِي اللُّغَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ؟

أما في اللسان الفرنسي نجد مثلا معجم MICRO ROBERT: يقابل كلمة واجب بـ DEVOIR بمعنى: الواجب أو الإيجاب الأخلاقي العام، و نقول تصرف الشخص عن طريق الواجب. كما ننتع شخصا ما بأنه رجل واجب؛ أي أنه يحترم ما تمليه الضرورة الأخلاقية. فهل تتوافق هذه الدلالات اللغوية و المعنى الفلسفي للمفهوم؟

### • في الدلالة الفلسفية:

يعرف صاحب كتاب المعجم التقني و الفلسفي لالاند أن الواجب هو: الوجوب الأخلاقي الذاتي الذي يرتكز على النداء الباطني بمعزل و منأى و مبعد عن أي قاعدة خارجية كالدين و القانون، كما أنه ينصرف إلى الامتثال

الالزامي الذي يتأسس سلطة قهرية خارجية، و من ثمة يلتقي هذا المعنى مع الدلالات التي تطرقنا إليها في الدلالي اللغوية.

غير أن هذه التحديدات اللغوية و الفلسفية لا تنفي النظر في المواقف التي ثورت المفهوم و تحدثت عنه بوضوح التحدث، مستشككين الموضوع الاستشكال، و متسانلين:

- Ø هل الواجب الأخلاقي إرادة حرة أم أنه ضرب من القهر و الإكراه؟
- Ø فإن كان إرادة حرة فعلى ماذا ينبني؟ و إن كان ميسما من الإكراه فكيف ذلك؟
- Ø ما هي العلاقة الممكن إيجادها بين الوعي الأخلاقي و الواجب؟
- Ø على ماذا يتأسس الوعي الأخلاقي؟
- Ø هل الواجب الأخلاقي يحكمه ضمير الفرد أم ضمير المجتمع؟
- Ø كيف يتدخل المجتمع في بناء الوعي بالواجب الأخلاقي؟
- Ø هل الواجب الأخلاقي يتأسس على معطى فردي؟

## المحور الأول: الواجب و الإكراه

تمهيد:

لئن كان للإنسان الحرية التامة في ممارسة حقوقه، فإن الأمر يختلف أشد الاختلاف حينما يتعلق الأمر بالواجب حيث يضيق مجال الحرية والاختيار ويصبح الإكراه الميسم الأساس، سواء مورس بشكل ذاتي (=الضمير) أو خارجي(= القانون، المجتمع). إذ الراجح أن يكون الواجب على شكل إلزام يفترض القيام به أو الإحجام عنه حتى وإن تعارض مع مصلحة الفرد ونوازعه الخاصة.

يتضح من ذلك أن الواجب لا يكاد ينفصل عن الإكراه. بل إن العلاقة بينهما علاقة تضاييف إن لم نقل تماه، لكن ألا يمكن أن يصدر الواجب عن محض اختيار خالص إرادة حرة بعيدا عن الإكراه والإلزام؟

**موقف كانط.**

عالج كانط مسألة الواجب بشكل عام في كتبه ومقالاته الأخلاقية<!--[if !supportFootnotes]-->[1]<!--[endif]--> معالجة دقيقة كان الهدف منها التأسيس الفعلي والكوني لمفهوم الفعل الأخلاقي من حيث هو ضرورة عقلية نابعة من ذات إنسانية تتمتع بنوع من الحرية والاستقلال الذاتي<!--[if !supportFootnotes]--> [2]<!--[endif]--> **autonomie**. معنى ذلك أن كل عاقل لا بد أن يقتنع ويقبل بالفعل الأخلاقي على شكل واجب - حتى وإن تعارض مع ميولاته الذاتية - مادامت الغاية هي تحقيق أكبر حرية إنسانية طبقا للقوانين، بحيث يمكن لحرية كل واحد أن تتعايش مع حرية الآخرين. هذه المقولة تستمد قوتها من كون احترام القانون الأخلاقي الذي يحكم الجميع ضرورة لا محيد عنها حتى يتمكن الشخص من التعايش مع الجميع تحت مظلة المساواة أمام القانون. والمرجع الأساس الذي يجب أن ينطلق منه الجميع - حسب كانط - هو العقل لأنه كوني بالنسبة للجميع. والحكم الأخلاقي إذ يصدر عن الإرادة الخيرة الحرة - التي مصدرها العقل هي الأخرى - فهو أيضا يمكن توصيفه بالكوني. الإرادة تلك يجب أن تكون غاية في ذاتها تفترض أن يكون الواجب الأخلاقي هو الآخر خال من كل غاية منفعية وبالتالي غاية في ذاته. بهذه الوصفة يمكن أن يكون الإكراه الذي يفرضه العقل على الشخص نابعا من حرية ذاتية مبنية على الاقتناع، بحيث يكون الإلزام داخليا وذاتيا قائم النية الحسنة والخالصة.

الإكراه بهذا المعنى يصبح فعلا من أفعال الإرادة. إنه إكراه حر<!--[if !supportFootnotes]-->[3]<!--[endif]--> يتخذ صفة الأمر القطعي المطلق والخال من الغائية. بمعنى انه يتميز عن الأمر الأخلاقي الشرطي الذي تعبر عنه عبارة "افعل كذا لتنتال كذا" (مثل : لا تسرق كي لا تدخل السجن) الذي لا يصنفه كانط في خاتمة الأفعال الأخلاقية لما فيه من مساومة وابتذال يسلبان الفعل الأخلاقي غايته النبيلة. كما أن الأوامر الأخلاقية غير مشروطة بأية نتائج أو ميول، بل لها بداهة مباشرة، لدرجة أن الإرادة تعرف أن عليها أن تخضع لهذه الأوامر<!--[if !supportFootnotes]-->[4]<!--[endif]-->، وهذه الأوامر ذات صبغة كونية شمولية هي التي تؤسس لمعنى الواجب عند

كانط وفق القواعد التالية:

1. تصرف بحيث تجعل من قاعدة فطرك قانونا لنفسك ولسان الناس.

2. تصرف دائما وفق الطريقة التي تجعلك تعتبر الإنسانية، في شخصك وفي غيرك، غاية مطلقة لا وسيلة بأي حال من الأحوال.

3. تصرف معتبرا إرادتك مشرعا لتشريع كوني.

اهتجس كانط بهاجس الكونية وهو يبني فلسفته النقدية بشكل عام. لذلك وضع قوانينا تتسع رقعتها لتشمل الإنسان كمفهوم، أي الإنسان في صيغته المطلقة، مركزا على العقل والإرادة لطابعهما الكوني والمشترك. فالعقل العملي إلى جانب الإرادة هما المشرعين لمفهوم الواجب، الذي هو إكراه، من حيث هو فعل خاضع للعقل، وللحرية، لأن مصدره الإرادة فهل يمكن تصور إرادة بدون حرية؟ أليس في هذه الحرية ما يجعل إتيان الفعل الأخلاق نابع من رغبة الإنسان في أن ينال استحسان الآخرين (المجتمع)؟

### موقف دوركهائم.

الجواب على هذا الإشكال يجد مقدماته النظرية عند عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركهائم حيث يرى، هو، أنه بالإضافة إلى الطابع الإلزامي الذي يسم الواجب، ثمة رغبة و ميل نحو انجاز الفعل الأخلاقي الخير. الواجب بهذا المعنى محط رغبة [5]، ما دام الإنسان خير بطبعه كما يقول روسو، وليس فقط محض إلزام كما يرى كانط. إننا نشعر بنوع من اللذة لا مثيل لها عند ممارستنا للواجب، بسبب أنه واجب [6].

لم يعد الواجب مع دوركهائم مجرد معطى متعالى خالص وإنما هو مرتبط بتجربة الذات في علاقتها بالآخر. التجربة تلك تبين أن المجتمع يرفض نظامه الأخلاقي فرضا مما يجعلنا نتساءل عن قيمة الإرادة الصانعة للفعل الأخلاقي في ظل مجتمع يفتقر إلى الحرية. في خضم هذا التضارب يرى دوركهائم أنه ليس هناك "فعل أخلاقي خالص تم القيام به على أنه واجب، بل يكون من الضروري دوما أن يظهر هذا الفعل على أنه جيد ومستحسن بشكل ما. وعلى العكس من ذلك يبدو أنه لا توجد موضوعات مرغوب فيها بشكل خالص، لأنها تتطلب دوما قدرا من المجهود الشخصي" [7].

### موقف هيجل.

على الضفة الأخرى، يرى هيجل أن الأطروحة الكانطية مجرد نزعة صورية [8]، [9]، تفنقروا إلى التجلي والتجسد في الواقع. الواجب مع هيجل ذو طابع مؤسساتي وغايته هي إقامة الدولة القوية التي يبتدئ بناؤها من الفرد الذي ينصهر في الكل، بلغة صاحب الفينومولوجيا " يجب على الفرد الذي يؤدي واجبه أن يحقق مصلحته الشخصية أو إشباعه وأن يتحول الشأن العام إلى شأن خاص بفعل وضعيته داخل الدولة" [9]. يعني هذا الكلام أن المصلحة الخاصة تنصهر ضمن المصلحة العامة بحيث يضمن الفرد حمايتها. "الفرد - يقول هيجل - الخاضع للواجبات سيجد في تحقيقها حمايته لشخصه وملكته باعتباره مواطنا، وتقديرا لمنفعته وإشباعا لماهيته الجوهرية، واعتزازا بكونه عضوا في هذا الكل" [10]. وبذلك يغدو الواجب مرتبطا بالدولة لا بالذات في وجودها الخالص.

لكن سؤالا سؤالا بطرح نفسه في هذا السياق: أليس ثمة واجبات تخرج عن هذا التصنيف؟

### موقف هيوم.

من هذا المنطلق، كان هيوم يميز بين هذا الواجب الناتج عن ميل طبيعي نحو الخير (حب الأطفال) بمعزل عن أي شعور بالإلزام أو أي اعتبار لمنفعة عامة أو خاصة [11]، وبين ذلك الذي يصدر عن إحساس بالإلزام لا غير، لأنه يمثل ضرورات المجتمع البشري التي تمثل كابحا للغرائز والميول الذاتية الجامحة (حب التملك). بهذا المعنى يصبح الإلزام والإكراه ضرورة لحفظ البقاء واستمرار الحياة الاجتماعية وإلا عمت الفوضى.

### موقف غويو ونيثشه.

على النقيض من ذلك يرى غويو أن الفعل الأخلاقي لا يجب أن يصدر عن إلزام و لا عنة خوف من أي جزاء أو عقاب. إنما يكون هو فعلا تأسيسا لمسار الحياة الذي لا ينتهي، و لغايات حددتها الطبيعة الإنسانية بوصفها فاعلية مطلقة نحو الحياة. لكن الواجب الأخلاقي من وجهة النظر الطبيعية هاته التي ليس فيها شيء غيبي، يرتد إلى القانون الطبيعي الشامل [12]، فمصدره هو الشعور الفيض "بأننا عشنا و أننا أدينا مهمتنا ... و سوف تستمر الحياة بعدنا، من دوننا، و لكن لعل لنا بعض الفضل في هذا الاستمرار". و المنحى نفسه يتخذ نيثشه حين يؤسس الأخلاق على مبدأ الحياة بوصفها إندفاع خلاق محض. إذ

الفعل الأخلاقي عند نيتشه ما يخدم الحياة ما يزيد من قوتها و ليس ما يضعف الحياة و يزيد من محدوديتها. هكذا هو الخير و الشر عند نيتشه.

## المحور الثاني: الوعي الأخلاقي

تمهيد:

تتمفصل كل النصوص التي سنأتي على تحليل مواقف أصحابها في إشكالية أساس لنا ان نصوصها كالاتي: ماهي العلاقة الممكن إيجادها بين كل من الواجب والوعي الأخلاقي؟ فمنهم النازع إلى التأكيد على ان الترابط والتلازم ميسم العلاقة بين الواجب والوعي الأخلاقي فلا ينفك الواحد منهم يتأسس على الآخر التأسيس، وذلك موقف الفيلسوف إريك فايل، ومنهم الذي حذا بموقفه حذو الرفض المنتقد لاطرواحات الفلاسفة السابقين عليه والمؤكدين على تأثير المحيط الخارجي في أخلاق الواحد منا، ليثبت هو أحقية القاعدة كمبدأ مؤسس للأخلاق هو ذا موقف الفيلسوف فرونسو برنطانو، وهذا مفكر إسلامي آخر يرى في العقل المرشد والمدل في كل فعل أخلاقي، فلا مناصرة للإنسان حتى يتسنى له العيش ضمن جماعة يطبعها التماسك والوحدة غير الإقتداء بالعقل، من هنا يكون الاكتساب خاصية الخلق<!--[endif]-->[13]<!--[if !supportFootnotes]-->[13]<!--[endif]-->. تتعدد المواقف وتختلف فمن خارج الفلسفة يدلو أحد المحللين النفسيين بدلوه في مجال ظل منذ زمن غير يسير حكر التفكير الفلسفي، ليثبت هو على أن النفس الإنسانية في ثلاثيتها (الأنى، le moi، الأنا الأعلى، le sur-moi، الهو le ça) تتضمن كل محدد أخلاقي وهو الدور المنوط بالأنى الأعلى، بخلاف هذه المواقف يقدم لنا هاينز كينتشتاينر تصورا آخر يجد قاعدته المركزية ولبنته الأساس في الوعي التاريخي، إذ يقدم لنا هو المنحى التاريخي الذي قطعه الأخلاق، ويمكن تقسيمه إلى شقين كبيرين، الأول هو قبل نشوء الفرد الحر المستقل وفيها كان الوعي الأخلاقي مرتبط أشد الإرتباط بالأطر الخارجية، أما الشق الثاني فهو المتعلق ببزوغ الفرد المستقل والحر<!--[if !supportFootnotes]-->[14]<!--[endif]-->. إلى ما هو فطري، إذ الفرد ينزع بطريقة هي أقرب إلى الغريزة منها إلى شيء آخر نحو الخير ويتجه.

ربما، وعلى الضد من كل هذه المواقف التي يقدمها لنا الفكر الفلسفي يرسم لنا الموقف التنشوي معالم الوعي الأخلاقي في أصله الأول، حيث للوعي الأخلاقي صلة ربط مع العنف الممارس على المدين.<!--[if !supportFootnotes]-->[15]<!--[endif]-->

موقف إريك فايل.

ينحو صاحب النص إلى التقرير مفاده ان الأخلاق بما هي مجال يضم بين ثناياها مفهوم الواجب le devoir فهي تلازم العقل تلازما جدليا فلا فرقة بينهم ولا خصام. فكل أمر نابع من العقل هو بالضرورة أخلاقي إذ أن كل انحياز إلى العقل يقول فايل ينتج عنه التأسيس الحقيقي والحق للمبدأ الأخلاقي.

وتأكيد فايل لأطروحته تلازم العقل والأخلاق جاء انطلاقا من عرضه لمجموعة منطلقات وإواليات:

\* تعارض العقل والنزوة.

\* لا بد لما هو خاص ان يفتح على أفق ما هو كوني وشمولي.

\* الذات بما هي ذات إنسانية وجب عليها الإنضواء تحت لواء ما هو كوني.

\* نفي صفة الموضوع على الإنسان أو قابلية توسيله.

\* الإقرار بعاقلية الكائن الإنساني.

\* حرية التصرف الأخلاقي.

\* ملازمة الحرية للعقل.

من خلال هذه المنطلقات التي عضها علينا فايل يخلص إلى نتيجة وهي أن الإنسان في تغليب له لميسم العقل من جهة أولى، وفي انفلاته من بوثقة ما هو خاص من جهة ثانية، وفي كونه كائن حر ذو اختيار من جهة ثالثة، متى انحاز إلى العقل فإن المبدأ الأخلاقي يكون قد تم تأسيسه بالفعل.

موقف فرنس برونتانو.



## المحور الثالث: الواجب و المجتمع

تمهيد:

إن العلاقة التي يمكن افتراض تحديدها بين النظام الأخلاقي و المجتمع من جهة أولى، و الوعي الفردي من جهة ثانية، كمارسة تتحدد وفق نمط معين من التوجيهات، بما هي أفعال تنطرح في قالب من النهج العملي، لهي بحق علاقة تتسم بالتفاوت و التباين و الاختلاف، و ليس يستغرب من أحد إن وجد الأنظار عند الذين تحدثوا في الواجب الأخلاقي من جهة تأسيسه و تنميته، إذ نزع بعضهم إلى أنه مؤسس على عقيدة المجتمع الذي يبيت عبر مؤسساته أنماطا معينة من السلوكات الأخلاقية بما فيها الواجب، فإن تفسيرات أخرى تظمن إلى القول بضرورة الاعتناق من السلطة الأخلاقية للمجتمع، و تجاوزها و بناء الوعي الأخلاقي على الإرادة الفردية. بيد أن الواجب الأخلاقي فردي محض. و من ثمة جاز لنا أن نطرح التساؤلات التالية:

- كيف يتدخل المجتمع في بناء الوعي بالواجب الأخلاقي؟
- ما هي مختلف تمثلات الواجب الأخلاقي؟
- هل الواجب الأخلاقي يتأسس على معطى فردي؟
- هل يجب أن يخضع الإنسان لكل ما تمليه عليه الجماعة (المجتمع)؟
- و في إشكالية جامعة مانعة نتساءل:
- هل الواجب الأخلاقي يحكمه ضمير الفرد أم ضمير المجتمع؟

### موقف دوركايم.

لعل الباحث في مجال السوسولوجيا و الدراسات التي تعنى بكشف البنى المتحركة في المجتمع لسيدج بأن دوركايم واحد من أولئك الذين اغنوا مجال علم الاجتماع بمباحث غزيرة. و من أهمها على الإطلاق دراسته للتربية الأخلاقية و الكيفية التي يعمل بها المجتمع في بناء الوعي الأخلاقي بين الأفراد، فأسس لما يسمى بمفهوم التنشئة الاجتماعية<sup>[17]</sup>!

إن المجتمع يشكل سلطة معنوية تتحكم في وجدان الأفراد، و يكون نظرتهم لمختلف أنماط السلوك داخله، و من ثمة فالمجتمع يمارس نوعا من القهر و الجبر على الأفراد إذ هو الذي يرسم لهم معالم الامتثال للواجب الأخلاقي و النظم الأخلاقية عموما، و لما كانت الحال كذلك لأن الأفراد يسلب منهم الوعي بالفعل الأخلاقي، لأنه لم يكن نابعا من إرادة حرة و واعية و انما عن ضمير و وعي جمعيين هما المتحكمان في سلوكيات الأفراد. و بالتالي فالمجتمع سلطة إلزامية "و التي يجب أن نخضع لها لأنها تحكمنا و تربطنا بغايات تتجاوزنا"<sup>[18]</sup>!

و من ثمة فالمجتمع يتعالى على الإرادات الفردية، و يفرض السلوكيات التي يجب أن يكون بما فيها السلوكيات الأخلاقية لأن المجتمع "قوة أخلاقية كبيرة"<sup>[19]</sup>! فيحقق الأفراد غاية المجتمع لا غاية ذواتهم و الانصات لصوته الأمر لأن "تلك المشاعر التي تملئ علينا سلوكنا بلهجة أمرة صارمة و ضميرنا الأخلاقي لم ينتج إلا عن المجتمع و لا يعبر إلا عنه"<sup>[20]</sup>!

### موقف هنري برغسون.

رغم تعدد الإرادات التي نلاحظها عيانا داخل المجتمعات، و بحسب الوظائف التي تشغلها، و رغم ما قد يلاحظ أن الأفراد يجسدون و يعبرون عن قناعات راسخة فيهم، فإنهم يعبرون عنها في شكل قهري و سلطوي يتعالى على الإرادات الحرة، أي أنها تعبر عن سلطة خارجة عنهم " لأننا كنا نشعر بوجود ضغط عظيم يكمن وراء تصرفاتهم و بواسطتها، و سنعرف فيما بعد أن الأمر يتعلق بالمجتمع"<sup>[21]</sup>!

و بالتالي فإن تلك السلطة التي عبرها نتجرك أخلاقيا تسير وفق نوع من الانضباط خدمة للصالح العام- الذي يقضي التضحية في سبيل الوطن " كما أن المجتمع هو الذي يرسم للفرد مناهج حياته اليومية"<sup>[22]</sup>!

و إن كان برغسون لا ينكر ما للمجتمع من قدرة تعسفية ماورانية تمارس على الأفراد فيما يخص تصرفاتهم الأخلاقية، فإنه يدعو بالمقابل إلى ضرورة الاعتناق من هذه السلطة الأخلاقية المتعالية، و طلب ما سماه بالواجب

الأخلاقي الكوني الذي يتعدى و يتجاوز الأخلاق المنغلقة التي يكرسها المجتمع، لأن هذا الأخير يرسخ أخلاقا تتماشى و الأفراد المكونين للمجتمع الواحد، و الأخلاق الكونية تنفتح على الشمولي و على الإنسان ككل بصرف النظر عن انتمائه المجتمعي لأن لدينا " واجبات نحو الإنسان من حيث هو إنسان" <!--[if !supportFootnotes]--> <!--endif--> >[23]<!--endif-->

### موقف فريدريك انجلز.

يقدم انجلز المفكر الماركسي الاشتراكي طرحا مهما حول مسألة الواجب الأخلاقي، إذ يعتبر أن النظريات الأخلاقية ليست قانونا يتعالى عن التاريخ و عن المجرىات الاجتماعية، بل بناؤها و العمل بها رهين بالمتغيرات التي تطال المجتمعات الانسانية داخل مختبر التاريخ، هذه التغيرات التي تسير و الايقاع الاقتصادي و الصراع الطبقي، و يطالها التغير و الفساد و تختلف " فإن كانت السرقة في لحظة تاريخية معينة رذيلة يمجها المجتمع ففي مجتمع ليس فيه، أية أسباب تدعو للسرقة...كم سيعرض الواعظ الأخلاقي للسخرية عندما يدعو علنا إلى الحقيقة الخالدة: ينبغي عليك ألا تسرق!" <!--[if !supportFootnotes]--> <!--endif--> >[24]<!--endif-->

إذن، فكل لحظة تاريخية تنتج عن متطلبات المجتمع فيها، و دعواتها الأخلاقية تعبر عن مصالح طبقة بعينها ضدا على طبقة أخرى، إنها مسألة الصراع كما يتحدث عنها ماركس بجلاء، باعتبار أن الصراع الطبقي هو المحرك الوحيد للتاريخ من الامتلاك و الاستغلال، 'نه استغلال طبقة أقوى لطبقة أخرى أضعف. و لا مناص من القول " الأخلاق بدورها تخضع بدون شك لفكرة التقدم" <!--[if !supportFootnotes]--> <!--endif--> >[25]<!--endif-->

### موقف ماكس فيبر.

ينصرف عالم الاجتماع ماكس فيبر في حديثه عن الواجب الأخلاقي و الأخلاق عموما إلى القول بأن الأخلاق في مجملها تنقسم إلى نمطين اثنين: نمط أول موسوم بأخلاق الاقتناع ذات المظهر المثالي و المتعالي التي يكون فيها الفرد غير متحمل لأية مسؤولية، و إنما هي مكونة إلى المؤثرات و العوامل الخارجية التي لا يتدخل فيها الفرد، و إنما نتطرح فيه بتأثير الأبعاد الدينية، بما هي صوت متعال يصدر أوامره، حيث إن " أخلاقية الاقتناع لن ترجع المسؤولية إلى الفاعل، بل إلى العالم المحيط و إلى حماقة البشر و إلى مشيئة الله الذي خلق الناس على بهذه الصورة" <!--[if !supportFootnotes]--> <!--endif--> >[26]<!--endif-->

و نمط ثان من الأخلاق هو ما كناه بأخلاق المسؤولية، التي تصدر من الذات الفردية و تتأسس على الوعي الفردي الحر، إذ "نحن مسؤولون عن النتائج التي تمكن توقعها لأفعالنا"، و لا ترجع المسؤولية إلى بعد خارجي قسري، لا علاقة لهذه الأخلاق بالقدر أو بالحظ، من ثمة "سيقول الفرد: إن هذه النتائج ترجع إلى مسؤولية فعلية الخاص" <!--[if !supportFootnotes]--> <!--endif--> >[27]<!--endif-->

### موقف جون راولز.

إن جون راولز صاحب نظرية العدالة في الفكر السياسي المعاصر، ينصرف في حديثه عن الواجب الأخلاقي إلى الحديث عن الواجب باعتباره نمطا من التضامن الذي يبنه و يؤسسه الجيل السابق للجيل اللاحق، حتى يتسطيع الجيل أول أن يوفر كل إمكانيات العيش الرغيد و المريح، إن " الأجيال السابقة تتحمل على كاهلها أعباء كثيرة تصب في صالح الأجيال اللاحقة" <!--[if !supportFootnotes]--> <!--endif--> >[28]<!--endif--> . و بالتالي فكل جيل يتحمل على عاتقه ضرورة تأمين المستقبل الذي لا يجعل الجيل اللاحق في حالة من الضياع و التشتت.

و كثيرة هي المناحي التي ينبثق منها هذا الواجب الأخلاقي بما هو تضامن بين الأجيال، لكن يظهر بلمح بارز في المجال الاقتصادي، إذ الاقتصاد هو المحرك الوحيد للتاريخ، و عدم القدرة على امتلاكه لا يجعل الحياة رغيدة و مريحة، و هذا التضامن هو خدمة للمجتمع عموما و تقسيم الثروات بشكل عادل، و من أجل أن "يكون المجتمع قد أدى واجبه في العدالة" <!--[if !supportFootnotes]--> <!--endif--> >[29]<!--endif-->

## خاتمة

انطلاقا مما سبق التطرق إليه من مواقف نجد أن الواجب الأخلاقي مفهوم يترواح بين عدة أنظار و مواقف متباينة لا تتعارض و أكثر مما تكون صورة بانورامية حوله، فمنهم من جعل رجح أن الواجب إرادة حرة و مطلقة في مقابل رأي معاكس اديري التقيض، و طرح آخر يجعل من الواجب الأخلاقي رهين سلطة من السلط قد تكون نفسية أو دينية أو غير ذلك، و نظر آخر يجعل من الواجب الأخلاقي لحظة من لحظات القهر الذي يمارسه المجتمع على الأفراد، أو فضاء يستشرف الواجب الكوني المنفتح كما برغسون.